@ 572 @ حكومة ، ودعوا إلى ا ورسوله ! 2 2 ! يريدون أحكام الجاهلية ، ويفضلون أحكام القوانين غير الشرعية على الأحكام الشرعية ، لعلمهم أن الحق عليهم ، وأن الشرع لا يحكم إلا بما يطابق الواقع . ! 2 2 ! أي : إلى حكم الشرع ! 2 2 ! وليس ذلك لأجل أنه حكم شرعي ، وإنما ذلك ، لأجل موافقة أهوائهم . فليسوا ممدوحين في هذه الحال ، ولو أتوا إليه مذعنين ، لأن العبد حقيقة ، من يتبع الحق ، فيما يحب ويكره ، وفيما يسره ويحزنه ، وأما الذي يتبع الشرع ، عند موافقة هواه ، وينبذه عند مخالفته ، ويقدم الهوى على الشرع ، فليس بعبد على الحقيقة . قال ا في لومهم على الإعراض عن الحكم الشرعي : ! 2 ! 2 أي : علة ، أخرجت القلب عن صحته وأزالت حاسته ، فصار بمنزلة المريض ، الذي يعرض عما ينفعه ، ويقبل على ما يضره . ! 2 2 ! أي : شكوا ، أو قلقت قلوبهم من حكم ا ورسوله ، واتهموه أنه لا يحكم بالحق . ! 2 2 ! أي : يحكم عليهم حكما ظالما جائرا ، وإنما هذا وصفهم ! 2 2 ! . وأما حكم ا ورسوله ، ففي غاية العدالة والقسط ، وموافقة الحكمة . ! 2 2 ! . وفي هذه الآيات ، دليل على أن الإيمان ، ليس هو مجرد القول ، حتى يقترن به العمل ، ولهذا نفى الإيمان عمن تولى عن الطاعة ، ووجوب الانقياد لحكم ا ، ورسوله في كل حال ، وإن لم ينقد له ، دل على مرض في قلبه ، وريب في إيمانه ، وأنه يحرم إساءة الظن بأحكام الشريعة ، وأن يظن بها ، خلاف العدل والحكمة . ^ (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى ا ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأول ئك هم المفلحون * ومن يطع ا ورسوله ويخش ا ويتقه فأول ئك هم الفآئزون) ^ ولما ذكر حالة المعرضين عن الحكم الشرعي ، ذكر حالة المؤمنين الممدوحين ، فقال : ! 2 2 ! إلى ! 2 2 ! أي : ! 2 ! 2 حقيقة الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم ! 2 2 ! سواء وافق أهواءهم ، أو خالفها ، ! 2 2 ! أي : سمعنا حكم ا ورسوله ، وأجبنا من دعانا إليه وأطعنا طاعة تامة ، سالمة من الحرج 2 ! . 2 ! ، حصر الفلاح فيهم ، لأن الفلاح : الفوز بالمطلوب ، والنجاة من المكروه ، ولا يفلح إلا من حكم ا ورسوله ، وأطاع ا ورسوله . ولما ذكر فضل الطاعة في الحكم خصوصا ، ذكر فضلها عموما ، في جميع الأحوال ، فقال : ! 2 2 ! فيصدق خبرهما ويمتثل أمرهما . ! 2 2 ! أي : يخافه ، خوفا مقرونا ، بمعرفة ، فيترك ما نهى عنه ، ويكف نفسه عما تهوى . ولهذا قال : ! 2 2 ! بترك المحظور ، لأن التقوى عند الإطلاق يدخل فيها ، فعل المأمور به ، وترك المنهي عنه ، وعند اقترانها بالبر أو الطاعة كما في هذا الموضع تفسر بتوقي عذاب ا ، بترك معاصيه . ! 2 2 ! الذين جمعوا ، بين طاعة ا ، وطاعة رسوله ، وخشية ا

وتقواه ، ! 2 2 ! بنجاتهم من العذاب ، لتركهم أسبابه ، ووصولهم إلى الثواب ، لفعلهم أسبابه ، فالفوز محصور فيهم ، وأما من لم يتصف بوصفهم ، فإنه يفوته من الفوز ، بحسب ما قصر عنه من هذه الأوصاف الحميدة . واشتملت هذه الآية ، على الحق المشترك ، بين ا وبين رسوله ، وهو : الطاعة المستلزمة للإيمان ، والحق المختص با ، وهو : الخشية والتقوى ، وبقي الحق الثالث المختص بالرسول ، وهو التعزير والتوقير . كما جمع بين الحقوق الثلاثة في سورة الفتح في قوله : ! 22 ! . ! 2 2 ! يخبر تعالى ، عن حالة المتخلفين عن الرسول صلى ا عليه وسلم ، في الجهاد من المنافقين ، ومن في قلوبهم مرض وضعف إيمان أنهم يقسمون با . ! 2 2 ! فيما يستقبل ، أو لئن نصحت عليهم ، حين خرجت ! 2 ! 2 والمعنى الأول ، أولى . قال ا رادا عليهم : ! 2 2 ! أي : لا نحتاج إلى إقسامكم ولا إلى أعذاركم ، فإن ا قد نبأنا من أخباركم ، وطاعتكم معروفة ، لا تخفى علينا ، قد كنا نعرف منكم التثاقل والكسل ، من غير عذر ، فلا وجه لعذركم وقسمكم ، إنما يحتاج إلى ذلك ، من كان أمره محتملا ، وحاله مشتبهة ، فهذا ربما يفيده العذر براءة ، وأما أنتم ، فكلا ولما ، وإنما ينتظر بكم ويخاف عليكم ، حلول بأس ا ونقمته ، ولهذا توعدهم بقوله : ! 2 ! 2 فيجازيكم عليها أتم الجزاء ، هذه حالهم في نفس الأمر . وأما الرسول عليه الصلاة والسلام ، فوظيفته ، أن يأمركم وينهاكم ، ولهذا قال : ! 2 2 ! امتثلوا ، كان حظهم وسعادتهم ، وإن ! 2 2 ! من الرسالة ، وقد أداها . ! 2 2 ! من الطاعة ، وقد بانت حالكم ، وظهرت ، فبان ضلالكم وغيكم واستحقاقكم العذاب . ! 2 2 ! إلى الصراط المستقيم ،